ATLAS INTERNATIONAL REFEREED JOURNAL ON SOCIAL SCIENCES
ISSN:2619-936X
Article Arrival Date:04.06.2018 Published Date:27.08.2018
2018 / August Vol 4, Issue:11 Pp:896-904
*Disciplines: Areas of Social Studies Sciences (Economics and Administration, Tourism and Tourism Management, History, Culture, Religion, Psychology, Sociology, Fine Arts, Engineering, Architecture, Language, Literature, Educational Sciences, Pedagogy & Other Disciplines in Social Sciences)*

# ORTADOĞU BARIŞI, ETNİK VE MEZHEPSEL AYRIŞMALARIN AŞILMASI

## PEACE OF THE MIDDLE EAST, OVERCOMING ETHNIC AND SECTARIAN DIVISIONS

**Dr. Öğr. Üyesi Ziya ABBAS**

Aksaray Üniversitesi, İktisadi ve idari Bilimler Fakültesi Uluslararası İlişkiler Bölümü, ziya-abbas@hotmail.com, Aksaray/Türkiye

## ÖZET

Orta Doğu'da çoğu ülkenin etnik, dini, mezhepsel ve politik çatışmalardan mustariptir. Bilindiği gibi, son yıllarda toplumsal kutuplaşma artmış ve hoşgörü ilkesi çok az kabul görmektedir. Çeşitliliği, hoşgörüyü ve demokrasiyi kabule etmeyen egemen güçler, varlıklarını sürdürebilmek için şiddeti ve ayrışmayı tetikleyen tarihi anlaşmazlıkları ve asabiyetleri devam ettirmeye çalışmaktadır. Bu durum ise toplumlar içinde bulunan bazı şiddet yanlısı, aşırılıkçı ve asabiyet yanlısı kesimler tarafından kabul görmektedir.

Şüphesiz ki bu sorunlarla baş edebilmek, dini, mezhepsel ve etnik ayrışmaların meydana getirdiği toplumsal fay hatlarının giderilmesi yönünde atılan yapıcı politikalardan geçer. Dolayısıyla siyaset ve toplum üzerinde söz sahibi olanların hoşgörüyü ve ötekileştirmeden farklılıkları kabul etme anlayışını yaymak için etkili önlemler almalıdır. Zira toplumsal barış, halkların beşeri ve ekonomik refahını yükseltir. Kaynakların ve altyapılarının dini, etnik ve mezhepsel çatışmalarda yok olmasını engeller. Bununla beraber demokrasinin temelini atarak siyasi istikrarı sağlar ve ekonomik gelişmeyle refah düzeyini artırır.

Yukarıda belirtilenlere dayanarak, bu çalışma, Ortadoğu'da siyaset ve toplum üzerinde söz sahibi olanlara katkıda bulunmak amacıyla dini ve etnik çatışmaların nedenlerini tespit etmeyi ve bunlara olası çözümler önermeyi amaçlamaktadır. Söz konusu çatışmaların Arap dünyasında yaygın olduğundan dolayı çalışma dilinin Arapça olmasında temel etken olmuştur. Aynı sebepten ötürü çalışma Arap kaynaklarına dayanmıştır. Çalışma kısa bir girişten sonra iki ana başlığa ayrılmıştır. Birinci başlık, Arap isyanları ışığında barış içinde birlikte yaşamanın zorluklarını ele almıştır. İkinci ise zorlukların üstesinden gelmek ve ötekileştirmeden farklılıkları kabul eden ve/veya barış içinde birlikte yaşamak isteyen toplumlar yaratmak için yapılması gerekenler konuları ele almıştır. Başlıca çözüm önerileri ve daha sonraki çalışmalarda diğer araştırmacılara yol gösterebilecek konular sonuçta yer almıştır.

**Anahtar Kelimeler:** Barış, Hoşgörü, çatışmalar, Arap Baharı, Orta Doğu.

## ABSTRACT

Most countries suffer from ethnic, religious, sectarian and political conflicts in the Middle East. As is known, social polarization has increased in recent years and the principle of tolerance is very little accepted. The sovereign forces, which do not accept diversity, tolerance and democracy, try to maintain the historical disagreements and irritations that trigger violence and dissociation in order to sustain their existence. This is acknowledged by some pro-violent, extremist and nervous segments within the societies.

Undoubtedly, to be able to cope with these problems is through constructive politics that are aimed at eliminating the social lines of fault that religious, sectarian and ethnic divisions have caused. Therefore, those who have authority over politics and society should take effective measures to spread understanding of tolerance and acceptance of differences without any other.

Based on the above, this study seeks to identify the causes of religious and ethnic conflicts in the Middle East in order to contribute to those who have a say in politics and society, and to suggest possible solutions to them. Since the conflicts were widespread in the Arab world, they were the main factor in the Arabic language of the

study. The study was divided into two main headings after a brief introduction. The first chapter addresses the challenges of living together peacefully in the light of the Arab revolts. The second deals with issues that need to be overcome to overcome difficulties and to create societies that accept differences and / or want to live together in peace without alienating others. The main solution was the recommendation and the results that could lead to other researchers in later studies.

**Keywords:** Peace, Tolerance, Conflicts, Arab Spring, Middle East.

**سلام الشرق الأوسط ، تجاوز الانقسامات العرقية والطائفية**

**ملخص**

تعاني معظم دول الشرق الأوسط من صراعات عرقية ودينية وسياسية. وقد ازداد الاستقطاب المجتمعي في السنوات الاخيرة وغدا مبدأ التسامح قليل القبول. فالقوى الفاعلة التي لا تقبل التنوع والتسامح والديمقراطية ، تحاول الحفاظ على الخلافات والتهديدات التاريخية التي تثير العنف والانفصال من أجل الحفاظ على وجودها. وهذا يجد صداه لدى بعض الشرائح المؤيدة للعنف والمتطرفة داخل المجتمعات.

ومما لاشك فيه ان تجازو هذه المشاكل متعلق باعتماد سياسات بناءة تسعى الى تجاوز الشرخ المجتمعي الناشيء من الاختلافات الاثنية والمذهبية. وبما ان مسالة التعايش السلمي وقبول الاخر يعتمد على مبدأ التسامح الذي يعد بحد ذاته مفهوما اجتماعيا مهما في العالمين العربي والإسلامي فيجب على القائمين عالسياسة والمجتمع اتخاذ تدابير فاعلة لنشر مفهوم التسامح وقبول الاخر والعمل على ايجاد سياسات فاعلة لردم المفاهيم المعادية للاخر المختلف والتأسيس لمجتمعات تتقبل الاختلافات الدينية والعرقية.

وانطلاقا مما تقدم ذكره فإن هذه الدراسة تسعى الى تشخيص اسباب النزاعات الدينية والعرقية واقتراح الحلول الممكنة لها بما يخدم القائمين على السياسة والمجتمع في الشرق الاوسط. وبما ان هذه النواعات تتركز في البلدان العربية فقد تقرر كتابتها باللغة العربية. كما اعتمدت الدراسة على المصادر العربية انطلاقا من السبب نفسه. وتم تقسيم الدراسة الى قسمين رئيسيين بعد مقدمة قصيرة. القسم الاول بعنوان تحديات التعايش السلمي في ظل ثورات الربيع العربي والثاني بحث في سبل تجاوز التحديات وخلق مجتمات تقبل الاخر وترغب بالتعايش السلمي. اضافة الى خاتمة الدراسة التي حاول الباحث فيها اقتراح بعض الحلول التي يمكن ان تخدم الشعوب والباحثين الاخرين في الدراسات اللاحقة.

**الكلمات المفتاحية:** السلام، التسامح، النزاعات، الربيع العربي، الشرق الاوسط.

## 1. المقدمة

ان الاختلاف في الرأي وتعدد القناعات والميول ظاهرة أصيلة وراسخة في كل مجتمعات العالم. فإذا تشابه البشر في اللون والعرق فانهم مختلفون ومتنوعون في القناعات الدينية والثقافية. وإذا تشابه الافراد في القناعات الدينية والثقافية، فهم مختلفون في القوميات والإثنيات. وهكذا فان ظاهرة الاختلاف والتعدد والتنوع، ظاهرة طبيعية في حياة البشر. وينبغي التعامل معها بايجابية انطلاقا من الحديث النبوي الشريف: "اختلاف امتي رحمة" ومقولة الامام علي بن ابي طالب"الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق".

لكن هذه الظاهرة الطبيعية قد تتحول إلى عبء على استقرار المجتمعات وأمنها. حينما لا يتم التعامل معها بعقلية التفاهم والتعايش السلمي وقبول الاخر، دون استخدام أساليب العنف والضغط لاستئصالها. فالتعاطي الخاطئ مع هذه الظاهرة يحولها من مصدر تنوع وحيوية إلى مصدر للعداوات والتناحر والبؤس ويولد العنف ويهدد استقرار وامن المجتمعات والشعوب. فيتحول المجتمع الواحد الى مجموعة من المجتمعات، ولكل منها عالمها الخاص ورموزها الخاصة وهمومها واهتماماتها الخاص بها. الى جانب انعزال وقطيعة تامة مع المجتمع الخاص الآخر والمختلف عنها. وهكذا تتحول التعددية الدينية والمذهبية والقومية من حالة طبيعية في حياة البشر والمجتمعات إلى مصدر للشقاء والتباغض والمحن وبابا مفتوحا على كل احتمالات العداوة والنزاع والعنف.

وعندما يتعلق الامر الشرق الاوسط في ظل ثورات الربيع العربي فان اول ما يتبادر الى اذهاننا لما يجري في الشرق الأوسط هو أن معظم هذه الدول تعاني من صراعات عرقية ودينية وسياسية ولكن بنسب مختلفة. إلا ان الاهم من ذلك الان هو ان هذه الثورات قلبت المعادلة فتحول الاخر المختلف من التهميش الى الصدارة ومن الاستبعاد السياسي الى الادارة السياسية ومن المعارضة السرية الى الحكومة والسلطة السياسية، وهذا ما يمكن ان نسميه بالامتحان المصيري للمجتمعات العربية في طريق التعايش السلمي وقبول الاخر اولا وللتجربة الديمقراطية في المنطقة ثانيا. لان التغيير حالة ممكنة رغم صعوبتها في بعض الاحيان إلا انها تظل عملية ممكنة في القاموس السياسي طبعا بتضحيات هائلة مثلما حدث مع النموذج الليبي. لكن التحدي الاصعب يكمن في مرحلة مابعد التغيير وكيف سيتعامل الحكام الجدد مع الاخر المختلف الذي يتمثل في الجماعات الاثنية والدينية المختلفة عنهم.

ان التغيرات التي حصلت في المنطقة بفعل ثورات الربيع العربي ادت الى بروز قوة الاسلام السياسي الذي تولى السلطة في معظم هذه البلدان مما جعلها وقواعدها الشعبية أمام فرصة تاريخية للإسهام في مشروع التعايش السلمي وقبول الاخر والذي يعد الخطوة الاهم في طريق التحول الديمقراطي في هذه البلدان والنهوض بالمجتمعات العربية نحو الرقي والتقدم. لكن هذه الفرصة تتطلب من الحكام الجدد توضيح مدى التزامهم بالديمقراطية بصفتها أكثر من مجرد انتخابات وبصفتها حقوقا وحريات لكل فئات وأفراد المجتمعات العربية . فالمجتمعات العربية تبحث عن التنمية والرقي وتسعى إلى تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والحريات للأفراد بغض النظر عن اختلافاتهم الايديولوجية والاثنية او الدينية. لذا فان الإسلام السياسي ليس فوق هذه الاعتبارات ولا تمتلك الحصانة من ضرورات التأقلم مع مبادئ الحرية والمساواة والعدالة والحقوق والواجبات. ومن اجل خلق فرص التعايش السلمي واحلال السلام الشامل في المنطقة ينبغي اولا تشخيص التحديات التي تواجهها ومن ثم ايجاد الحلول لها بوضع سياسات وخطط مدروسة ومحكمة يساهم فيها الحاكم والمحكوم، والفرد والجماعة وكل فئات الشعوب والمجتمعات في الشرق الاوسط عموما والبلدان العربية التي تعيش ارهاصات الربيع العربي.

**2. تحديات التعايش السلمي في ظل ثورات الربيع العربي**

يعتمد مسالة التعايش السلمي وقبول الاخر على مبدأ التسامح الذي يعد بحد ذاته مفهوما اجتماعيا مهما في العالمين العربي والإسلامي انطلاقا من الايتين الكريمتين "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" و"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ". وكذلك انطلاقا من الحديث النبوي ومقولة الامام علي السابقة الذكر. لكن ما يدمي القلوب ويحز في النفوس ان مبدأ التسامح في الوقت الحاضر غدا قليل القبول لدى أوساط واسعة من الفئات الاجتماعية رغم ان تعاليم الإسلام سمحة وإنسانية كما استشهدنا انفا عبر الايات القرانية والاحاديث النبوية. فبعض الجهات الإقصائية والفئات المتطرفة كانت ومازالت تنظر إلى الاخر المختلف عنهم وكانهم "نبت شيطاني" أو "فكر مستورد", مع خلط غريب ومتخلف للمفاهيم بالشكل الذي يصور الاخر المختلف مبتدعا او محتذيا بالاجنبي وخارجا عن الدين اوكافرا يحل اراقة دمائه وما الى ذلك من الوسائل المختلفة في استعداء الاخر المختلف. والأمر نفسه ينطبق على نحو أشد، فيما يتعلق بالنطاق الداخلي، وفي داخل كل بلد أو جماعة سياسية ودينية ومذهبية اواثنية (الغبرا: http://minbaralhurriyya.org/index.php/archives/6513 ).

ان جزاءا من التحديات التي تواجهها مسالة التعايش السلمي وقبول الاخر يتمثل في التراكمات السلبية والموروثات العصبية غير المتسامحة التي تجري محاولات لادامتها بهدف الحفاظ على صمت المجتمع وادامة أنظمة الحكم السائدة التي لا تقبل بالتنوّع والاختلاف والتسامح والديمقراطية، ومثل هذا الأمر يجد صداه داخل المجتمع عبر تيارات متطرفة ومتعصبة تتستر خلف راية الإسلام أو التدين او الدفاع عن قومية او اثنية معينة ضد غيرها. لكن المشكلة الاكبر الذي يعاني منه شعوب الشرق الاوسط يكمن في الجانب الديني عموما والمذهبي خصوصا لذلك نرى ان هؤلاء يستغلون تعاليم الإسلام في توظيفها ضد فئة او مذهب اسلامي مختلف عنهم ولأغراض سياسية او فئوية ضيقة. كالتهديدات التي أطلقتها "تنظيم قاعدة الجهاد في أرض الرافدين" باستئصال الشيعة، وتنفيذ هذه التهديدات عمليًا من خلال تفجير السيارات المفخخة والعبوات الناسفة والانتحاريين في مساجد وحسينيات الشيعة ومحلاتهم وأسواقهم وتجمعاتهم وشعائرهم المذهبية (بيلهام: 2009، 265). فقد شنت القاعدة هجمات عنيفة ضد هذه الفئة فيما يسمى بحوادث القتل الطائفي أو ما سمي بالقتل على الهوية والتي راح ضحيتها الالاف من المواطنين الشيعة من مختلف مناطق العراق(الحيدري: 2007).

وفي خضم النجاحات السياسية التي حققتها التيارات الاسلامية في ثورات الربيع العربي وغدت صاحبة الكلمة الاولى في ادارة امور تلك البلدان بات من الضروري ان تسعى اولا الى اقرار السلم الاهلي والتعايش مع الاخر. وبما ان قدرة الإسلام السياسي على التعامل مع الحريات في ظل تأسيس دور اقل تدخلاً ووصاية من ذي قبل في العلاقة مع المجتمع والأفراد سيتحدد مدى قدرة هذا التيار العريض على تحقيق القطيعة مع تاريخ يعيد إنتاج الديكتاتورية تحت مسميات مختلفة لذلك فهي مرتبطة بمدى قدرتها على التعامل مع ارث الديكتاتورية. فالحالة العربية أدت إلى قيام أنظمة ديكتاتورية لا تقدر الفرد ولا تحترم خصوصياته ولا تحترم الحريات وترفض مبدأ التداول السلمي للسلطة. الى درجة ان مصطلح الديكتاتورية اصبحت رديفاً للعرب وأنظمتهم.

إن التناقض الصارخ بين منطلقات التيار الإسلامي التاريخية والدينية وبين سعيه إلى الديمقراطية ستبقى واحدة من اكبر التحديات التي سيواجهها في السنوات المقبلة. فالتيار عبر رموزه وطروحاته يعلن سعيه إلى دولة ديمقراطية، لكنه يعود ويطرح فكرة التدرج في الوصول إلى تطبيقات الشريعة الإسلامية المختلف عليها بين فئات المجتمع. ويطرح التيار تفسيرات تحد من دور المرأة والأقليات وتتناقض مع الحريات الشخصية وتجعل الديمقراطية مجرد رقم حسابي انتخابي خال من الروح والعمق والمجتمع المدني. ويمكن القول انه حتى مع تأكيد التيار عكس ذلك تنتشر بين قطاعات في المجتمع أزمة ثقة تجاه التيار الإسلامي ستكون مرشحة للازدياد أو للتقلص وذلك وفق التوجهات والسلوكيات التي سيمارسها في المرحلة المقبلة تجاه فئات المجتمع وحرياته.

كما ان مسالة فض التشابك بين الديني والمدني تعد واحدة من أكبر التحديات التي تواجهها التيارات الإسلامية في المرحلة المقبلة. وينبغي عليها ان تتعامل مع بجدية ومرونة مع هذه المسالة. والاختيار بين القطبين الديني والسياسي من دون التخلي الشامل عن القطب الثاني هو التحدي الأكبر. لكن لو اختارت التيارات الإسلامية الدين بصورة ضيقة على حساب السياسة فستواجه فشلاً ذريعا يؤدي بطبيعة الحال الى استنزافها كما سبق للحركات القومية أن استُنزفت في معارك جانبية. ومن الواضح أن تيار "الإخوان المسلمين" البراغماتي والعملي هي أحدى أكثر التيارات الإسلامية استعداداً للتعامل مع موضوعات الانتقال والتحول الجديد، والواضح أيضا أن دخول السلفيين على خط السياسة هو تطور جديد يعد بتحول في المدى المتوسط، لكن الأوضح أن عدم انتقال التيار الإسلامي نحو الفكر المدني ذي الجذور الإسلامية سيمهد الطريق لبروز

قوى جديدة من عباءة التيار تنتشر في الوسط المدني والحقوقي وتفتح المجال نحو آفاق جديدة (الغبرا: http://minbaralhurriyya.org/index.php/archives/6513 ).

من اخطر ما يواجه ثورات الربيع العربي أن يسعى فصيل وتيار محدد يمثل الغالبية للاستئثار بالسلطة ثم العمل لقمع الآخرين باسم الغالبية. هذا ما يجب أن يتفاداه التيار الإسلامي في هذه المرحلة، بل هذا ما يجب أن يتفاداه كل تيار يحقق غالبية مؤقتة في ميدان الانتخابات البرلمانية والرئاسية والبلدية وغيره. إن فكر اطلاق يد الاغلبية هي فكرة مدمرة وغير ديمقراطية لهذا من الضروري وضع حدود للدولة ومدى تدخلها في حياة الأفراد وحقوقهم وذلك بصفتها هيئة تسلطية مائلة بطبيعتها للفساد وسوء استخدام السلطة. هذا ما يجب أن يحذر منه بلدان الربيع العربي وخصوصا في مرحلة أعادة بناء البنى التحية للنظم السياسية وإقرار القوانين في هذه المرحلة المصيرية.

ان من الخطورة بمكان على الأمن والسلم الاجتماعي وعلى مستقبل التعايش في ظل الانظمة العربية الفتية أن تختار الحكومة حلولا للأزمات الطائفية فتكون نتيجتها إحساس إحدى الطوائف بأنها تعرضت لاضطهاد. خصوصا اذا كانت تلك الطائفة تحمل مخزونا ثقافيا تاريخيا يساهم في إبرازها باستمرار بأنها "ضحية"، وهو ما يساهم في الإيحاء لدى الطائفة الأخرى بأنها لابد أن "تهيمن" على شؤون المجتمع، الأمر الذي سيؤدي إلى فرز طائفي مقيت تكون إحدى نتائجه سعي الطائفة المحكومة "الضحية" إلى الانتقام لمواقفها. وقد حدث في العراق ما يشبه ذلك، حينما انتقمت الأقلية السنية من مواقف الأغلبية الشيعية، بسبب إحساس الأولى بأنها مضطهدة وحقوقها مهضومة، مما أثر على الأمن والسلم وعلى استقرار النظام الديموقراطي، وساهم في ضرب التعايش الاجتماعي والسلم الاهلي (سلطان: http://www.metransparent.com/spip.php?page=article&id_article=11287&var_lang=ar&lang=ar ).

إنْ لم تكن مواقف الانظمة الفتية حكيمة في معالجة الأزمات الطائفية فإن ذلك سيساهم في "تأصيل" التنافر الطائفي بالمجتمع بدلا من المساهمة في وضع الخطط للتعايش الطائفي ووضع الحلول لمعالجة مشكلاتها وعلى رأسها مشكلة الإقصاء. فأي خطط أو حلول لابد أن تنتمي إلى "إصلاحات" تدريجية سياسية واجتماعية وقانونية تصب في النهاية في تطوير الدولة المدنية والمجتمع العصري.

**3. سبل تجاوز التحديات وخلق مجتمات تقبل الاخر وترغب بالتعايش السلمي**

هناك العديد من السبل الكفيلة لتجسيد قيمة التسامح الحضاري واهميته في حياة الجماعات والشعوب لكي يستطيع العالم الخروج من قوالب التعصب والتطرف والإقصاء والتهميش والعنف والإرهاب. ولن يتحقق ذلك دون توفير تربة خصبة لزرع بذوره وتعميق الوعي الحقوقي والأخلاقي والقانوني والاجتماعي بأهميته، من خلال الإقرار بالتنوّع والتعددية وقبول حق الاختلاف والمغايرة والتعايش واحترام الآخر، سواءً كان ذلك على المستوى الفردي أو الجماعي أو على مستوى الحكومات والدول. غير أن التعايش السلمي بما فيه الطائفي، لابد أن يبني على أسسه الحديثة ورفض ما يعرقل ذلك، وبالذات رفض الصور النمطية الدينية الفقهية التي عادة ما تساهم في "تفجير" محاولات التعايش، وهي صور تاريخية لا تلتقي مع شروط التعايش المعاصر.

فالمشكلات الطائفية التي هيمنت وتهيمن على مجتمعنا، لا تكمن فحسب في الممارسات الفردية كفتاوى بعض الشيوخ التحريضية على قتل المسلمين تحت مسميات طائفية او مذهبية او سياسية، بل يتعلق بالنهج الفقهي التاريخي الإقصائي الذي تتبناه بعض الجماعات او الطوائف والذي لا ينتمي في ثقافته وفي كلامه وفي قوانينه وفي طرحه الضيق حول التعايش، إلى الواقع المعاصر. فهذا النهج يعرض أطروحاته النقدية الهجومية المزعجة دون أن يمتلك مقومات قبول طرح الآخر المغاير (المحفوظ: http://www.alhikmeh.org/news/?p=266 ).

وبعبارة أخرى فان التعايش السلمي وقبول الاخر لا يتعارض مع المفاهيم الاسلامية الاصيلة لكنه يتعارض من النهج الاقصائي الفقهي الذي تبنته العديد من الجماعات والطوائف عبر العصور التاريخية مما جعلها تتجذر في مجتمعاتنا وتنشر مفاهيمها الهدامة في كل مفاصل الحياة. لذلك ينبغي علينا اعادة قراءة بعض تلك المفاهيم كمفهوم التولي والتبري، بحيث لا يؤدي ذلك إلى نزاعات تكون نتيجتها إقصاء الآخر. وعلينا ايضا ان نسعى الى طرح تلك المفاهيم بصورة حديثة بحيث لا تؤدي إلى ضرب مبدأ التعايش السلمي وقبول الاخر.

فمثلا كانت المرجعية الشيعية في العراق تدرك أن تعزيز الوحدة الوطنية يتمثل في الصعيد العملي من خلال عدم تشجيع الأفكار والأقوال التي تزرع الحقد الطائفي والكراهية بين أبناء الشعب .كما أن أعمال القتل والخطف، والانتقام المضاد من الأطراف الأخرى، ستؤدي حتما إلى الفتنة الطائفية .فعندما انبرى بعض الشيعة إلى استعادة مساجدهم التي صادرها نظام صدام وسلمها للسنة ، ذهب بعض الأئمة السنة إلى السيستاني لعرض شكواهم عليه، فأعلن بأنه يؤكد على ضرورة عدم التجاوز على المساجد والعودة عن أي خطأ يرتكب وأنه مستمر على مد يد المحبة إلى المسلمين السنة في بناء مساجدهم أو إعادة تعميرها. كما أكد في استفتاء آخر بأن "هذا العمل مرفوض تمامًا، ولابد من رفع التجاوز وتوفير الحماية لإمام الجماعة وإعادته إلى جامعه معززا مكرما" (السيستاني: 2003). ورغم ازدياد اعمال العنف والقتل العشوائي اليومي والذي كان يزيد من الاحتقان الطائفي، ويزيد من غضب الشيعة، وترتفع دعوات الثأر والانتقام، لكن المرجعية الشيعية كانت دوما ترفض أية عمليات انتقامية ضد السنة. فقد دعى الحائري الى نبذ الخلافات والعمل على المزيد من التلاحم وزيادة روح المحبة والاخوة بين العراقيين وان يكون العراقيون يدا واحدة وكلمة واحدة بوجه الارهاب (الحائري: 2005).

ووجه السيستاني رسالة الى الشعب العراقي اعرب فيه عن حزنه لما يتعرض له العراق من قتل وتهجير وخطف، وقال انه كان "حريصا على ان يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العصيبة من تاريخهم من دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية... انني اكرر اليوم ندائي الى جميع ابناء العراق الغيارى من مختلف الطوائف والقوميات بان يعوا حجم هذا الخطر الذي يهدد مستقبل بلدهم، ويتكاتفوا في مواجهته بنبذ الكراهية والعنف واستبدالهما بالمحبة والحوار السلمي لحل كافة المشاكل والخلافات. كما اناشد كل المخلصين الحريصين على وحدة هذا البلد ومستقبل ابناءه من اصحاب الرأي والفكر والقادة الدينيين والسياسيين وزعماء العشائر وغيرهم بأن يبذلوا قصارى جهودهم في سبيل وقف هذا المسلسل الدامي الذي لو استمر – كما يريده الاعداء – فلسوف يلحق أبلغ الضرر بوحدة هذا الشعب ويعيق لأمد بعيد تحقق آماله في التحرر والاستقرار والتقدم..... ان الخروج من المأزق الذي يمر به العراق في الظروف الراهنة يتطلب قرارا من كل الفرقاء برعاية حرمة دم العراقي أيا كان ووقف العنف المتقابل بكافة اشكاله، لتغيب بذلك – والى الابد إن شاء الله – مشاهد السيارات المفخخة والاعدامات العشوائية في الشوارع وحملات التهجير القسري ونحوها من الصور المأساوية، وتستبدل - بالتعاون مع الحكومة الوطنية المنتخبة – بمشاهد الحوار البناء لحل الازمات والخلافات العالقة على اساس القسط والعدل والمساوات بين جميع ابناء هذا الوطن في الحقوق والواجبات، بعيدا عن النزعات التسلطية والتحكم الطائفي والعرقي، على

امل ان يكون ذلك مدخلا لاستعادة العراقيين السيادة الكاملة على بلدهم ويمهد لعد افضل ينعمون فيه بالامن والاستقرار والرقي والتقدم بعون الله تبارك وتعالى". وفي البيان الذي اصدره الحائري بمناسبة تفجير مئذنة سامراء في شباط 2007 اشار الى ان المسألة ليست طائفية واتهم الامريكان بالوقوف وراء هذه التفجيرات لغرض افتعال نزاع شيعي – سني في العراق ليطول بقاؤهم فيها ويمتصوا خيراته (الحائري: 2007).

وبهذا الصدد يؤكد المراجع الشيعة دائما على أهمية الوحدة الوطنية والابتعاد عن كل ما يشق الصف الوطني أو يزرع الشعور بالتمييز أو الاختلاف بين أبناء الشعب العراقي. في عرضه لآرائه السياسية ومطالبه ومقترحاته وتوصياته يؤكد السيستاني على أهمية توحيد كلمة العراقيين وتجنب ما يشرخ صفوفهم وعن أي طريق كان. كما يؤكد دائما على تبنيه لنظام تعددي يضمن حريات وحقوق الجميع ، ويضمن مشاركتهم في إدارة شؤون البلاد دون تمييز بين فئة أو مذهب أو دين، يصف العراقيين والنظام السياسي بأنهم "متفقون على ضرورة التأسيس لنظام جديد يقر مبدأ العدالة والمساواة بين جميع أبناء هذا البلد بناءا على مبدأ التعددية واحترام الرأي الآخر" (السيستاني :2004).

وانطلاقا من هذه الامثلة في العراق نجد ان ضمان الحقوق المدنية لجميع المواطنين وبمختلف انتماءاتهم هو الأساس الذي يجب أن يبنى عليه أي تعايش في الشرق الاوسط عموما وفي بلدان الربيع العربي خصوصا سواء أكان تعايشا اثنيا ام طائفيا أم قبليا أم غيره. ومن الضرورة بمكان أن تكون تلك الحقوق قائمة على قبول وجهات النظر المخالفة وانتقاداتهم للتاريخ الديني وللرموز الدينية وما شابه ذلك. ومن الأهمية بمكان أيضا أن تقوم الانظمة الجديدة في هذه البلدان الى جانب البلدان الاخرى بتشريع القوانين التي تضمن الحقوق والواجبات المدنية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية لجميع المواطنين دون تمييز بينهم وان تكفل حرية التعبير عن الرأي لكن دون التطاول على مقدسات ورموز الاخرين بالشكل الذي يزيد من الاصطفافات الاثنية والطائفية والتي تؤدي بدورها الى زيادة الاحتقان الاثني او الطائفي بين الافراد والجماعات والشعوب (سلطان: http://www.metransparent.com/spip.php?page=article&id_article=11287&var_lang=ar&lang=ar).

وإزاء هذا المتغيرات الاستراتيجية التي تشهدها المنطقة ظهرت الحاجة إلى التأكيد على العناصر التالية:

اولا: صياغة رؤية فكرية واستراتيجية وخطاب سياسي يواكب هذه المتغيرات ويساهم في تقليل التوترات ذات البعد الاثني اوالطائفي من جراء التباين في القناعات والمواقف تجاه التطورات والتحولات التي تشهدها المنطقة والتي بدت تتضح اكثر منذ قيام ثورات الربيع العربي.

ثانيا: القيام بمبادرات وخطوات عملية مدروسة، تستهدف نسج علاقات إيجابية وحيوية مع القوى الصاعدة والجديدة في مناطق التحول والمجتمعات والشعوب التي شهدت ثورات الربيع العربي.

ثالثا: تشجيع الاقليات الاثنية و المذهبية كالاقلية الشيعية في تونس والاقلية القبطية في مصر وغيرها من الاقليات في بقية دول الربيع العربي، على الانفتاح على الساحة العامة والمجتمعات التي يعيشون فيها وعدم الانغلاق والانخراط في المشاريع الوطنية والثقافية والاجتماعية.

رابعا: تشجيع الفئات الاجتماعية التي تشكل نسبة الاكثرية في بلدان الربيع العربي على تقبل الاخر المختلف عنهم في مجتمعاتهم واقناعهم بان الاقليات لا يشكلون خطرا عليهم بالتالي المساهمة في دمجهم مع تلك المجتمعات والحفاظ على هوية كل فريق دون الاضرار بمصالح اي منها.

فالمصلحة تقتضي أن تسعى كل الفئات الاجتماعية في بلدان الربيع العربي وبغض النظر عن اختلافاتها الفكرية او الاثنية او الطائفية الى تحقيق السلم الاهلي والتعايش السلمي من خلال محورين اساسيين وهما:

اولا: تأسيس الجمعيات والهيئات والمؤسسات الثقافية والاجتماعية التي تمارس النشاط الثقافي والاجتماعي على قاعدة المشترك الإسلامي اوالوطني، وتخفف من الأنشطة ذات الطابع الاثني او المذهبي. فمن من الضروري أن تقدم هذه الفئات نفسها بوصفها جماعات ثقافية وفكرية، تحمل مشروعا ثقافيا لوطنها ومجتمعها وتعمل جنبا الى جنب مع مختلف الفئات الاجتماعية والوطنية الاخرى من اجل المصلحة العليا للجميع.

ثانيا: المساهمة مع بقية القوى الوطنية في بناء أحزاب وتكتلات سياسية وطنية بعيدا عن النزعات الفئوية اوالطائفية. فليس من مصلحة اية فئة من الفئات الاجتماعية الاثنية او الطائفية في هذه البلدان ان تؤسس مشاريعها السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية او حتى الثقافية على اسس وقواعد فئوية او اثنية وطائفية. بل أن المصلحة تقتضي أن تنشط هذه الفئات على كافة الاصعدة الثقافية والفكرية والإعلامية ضمن مؤسسات وأطر رسمية. وعلى الصعيد السياسي ينبغي لهذه الفئات ان تنخرط في مشروعات سياسية تلتقي معها في المشتركات وطبيعة الخطاب والأولويات السياسية والوطنية (المحفوظ: http://www.alhikmeh.org/news/?p=266 ).

فلا سبيل أمام شعوب المنطقة وعلى اختلاف انتماءاتهم الاثنية او الطائفية الا التعايش السلمي والقبول بمقتضيات الاحترام المتبادل. وإن نزعات التحريض والاقصاء والاستعداء تضر بالجميع وتدخل المنطقة بأسرها في أجواء ومناخات كارثية على الجميع. فمن الضروري أن يسعى أهل الاعتدال والتعايش من مختلف المواقع الاثنية او المذهبية والاجتماعية إلى الانفتاح والتواصل وعدم الخضوع لمقتضيات الاصطفافات الطائفية المقيتة (البرواري: http://m.ahewar.org/s.asp?aid=286170&r=0&cid=0&u=&i=3697).

**4. الخاتمة**

ان المرحلة الراهنة والمقبلة تتطلب مراجعات جادة من قبل مجمل التيارات الدينية والاجتماعية والسياسية من خلال إعادة النظر بالموضوعات الدينية والمدنية والسياسية التي شكلت أساس عملها في السنوات السابقة وفتح صفحة جديدة للنهوض بمستوى شعوبها وتحقيق والتنمية والرفاهية المرجوة والتي تقوم في جوهرها على حريات أصيلة للفرد وللمجتمع الكبير المتنوع والمتعدد رغم انه يحتضن العديد من الاقليات المتشابكة.

ويجدر الاشارة في هذا السياق الى أن المشكلة الطائفية، ليست مشكلة خاصة بالأطراف التي تتعرض للتهميش والتمييز، وإنما هي مشكلة وطنية، ومن الضروري والواجب الأخلاقي والوطني، أن يتحمل الجميع مسؤولية العمل لتفكيك كل الحوامل التي تغذي نزعات التمييز والتهميش في كل المناطق والبلدان. والمسؤول الأول عن دمج الأقليات في أوطانها ومجتمعاتها، هي الأكثرية. فإذا تعاملت هذه الأكثرية بكل أطيافها وتياراتها، بانفتاح ومرونة مع الأقليات وحقوقها وهمومها،

فإن هذا التفاعل الإيجابي، سيفضي إلى المزيد من دمج الأقليات في محيطها الاجتماعي والوطني. أما إذا تعاملت الأكثريات بعصبية مذهبية وبانغلاق طائفي وببث لثقافة الاقصاء والتهميش والكراهية لاعتبارات عقائدية وأيديولوجية تجاه الأقليات، فإن النتيجة هي المزيد من تشبث الأقليات بهويتها وخصوصيتها كخط دفاع أخير عن الذات.

وعلى الجانب الاخر فانه من الضروري بمكان أن تنفتح الأقليات على محيطها، وتتفاعل على نحو إيجابي مع فضائها الوطني. ولكن فعالية هذا الانفتاح، مرهون على قدرة الأكثريات على تجاوز عصبياتها، والتعامل مع الأقليات على قاعدة المواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات. اذ ان انهاء كل اشكال التمييز والاقصاء والتهميش الذي يتعرض له فئات معينة لاعتبارات اثنية ومذهبية يقع على عاتق المخلصين والمثقفين من ابناء الاكثرية وتتحمل الشعوب مسؤوليتها قبل الانظمة الحاكمة والفرد قبل الجماعة، لذلك علينا جميعا ان نكون يدا واحدة في سبيل اقرار السلم الاجتماعي وتحقيق الوحدة الشعبية والوطنية من خلال التعايش السلمي وقبول الاخر.

**قائمة المصادر**


السيستاني، ع. (2003). استفتاء صدر من مكتب المرجع الشيعي الاعلى اية الله العظمى السيد بتاريخ 20 مايس2003.

السيستاني، ع. (2004). بيان صادر من مكتب المرجع الشيعي الاعلى اية الله العظمى السيد علي السيستاني بتاريخ 5 كانون الثاني 2004.

الحائري، ك. (2005). بيان صادر من مكتب المرجع الشيعي اية الله العظمى السيد كاظم الحائري حول استهداف الشيعة بتاريخ 31 اغسطس 2005.

الحائري، ك. (2007). بيان من مكتب اية الله العظمى السيد كاظم الحائري حول تفجير سامراء بتاريخ 13 تموز 2007.

بيلهام، ن. (2009). الشيعة والازمة الطائفية في الشرق الاوسط، ترجمة مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، بيروت.

الحيدري، م. (2007)، الطائفية العراق حقيقة ام وهم، دار نور الشروق للطباعة والنشر، بغداد.

البرواري، ز. الربيع العربي والعواصف المتوقعة، الحوار المتمدن، 14.05.2013، http://m.ahewar.org/s.asp?aid=286170&r=0&cid=0&u=&i=3697

الغبرا، ش. الاسلاميون في الحكم، بدايات التغيير، موقع منبر الحرية، 14.05.2013، http://minbaralhurriyya.org/index.php/archives/6513

سلطان، ف. التعايش مع الطائفية، شفاف الشرق الاوسط، 08.04. 2013، http://www.metransparent.com/spip.php?page=article&id_article=11287&var_lang=ar&lang=ar

المحفوظ، م. الربيع العربي والشيعة العرب، مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية، 14.05.2018، http://www.alhikmeh.org/news/?p=266